

الكلام على نفسي ، فأنا لم أكن قطّ قادراً على تذكر أسماء التفعيلات والبحور ، أو المراعاة اللازمة للقواعد المقبولة في التقطيع العروضي . وفي المدرسة كنت أستمع استمتاعاً كبيراً جداً بإنشاء هوميرو أو فيرجيل ، بأسلوب الخالص ، وربما كان لديّ اشتباه غريزي مؤداه أنه ما من أحد يعرف حقاً كيف ينبغي أن تلفظ اللغة اليونانية ، أو ما كان يمكن للأذن الرومانية أن تتذوقه في فيرجيل من خلال النسيج المتداخل من الإيقاعات اليونانية والوطنية ، وربما لم أكن أملك إلا غريزة تقوم على الكسل الوقائي (Protective Laziness) ولكن لا ريب أنه عندما وصل الأمر إلى تطبيق قواعد التقطيع العروضي على الشعر الانكليزي ، مع الاختلاف الشديد في نبراته ، والقيم المتغيرة لمقاطعة الصونية كنت أريد أن أعرف لماذا كان أحد الأبيات جيداً والآخر رديئاً وهذا ما لم يبينني به التقطيع العروضي ، وبسبب لي أن الطريقة الوحيدة لتعلم معالجة أي نوع من الشعر الانكليزي هو التمثل والتقليد ، وذلك بأن يستغرقك عمل شاعر معين إلى أن تستطيع أن تخرج عملاً مقتبساً منه بصورة يمكن تفهّمها ، ولست أقصد بهذا إلى القول أن الدراسة التحليلية للعروض ، والأشكال التجريدية التي تبدو مختلفة اختلافاً فائقاً جداً باختلاف الشعراء الذين يعالجونها ، هي مجرد تبديد للوقت . وكل ما أعنيه أن دراسة التشريح لن تعلمك كيف تجعل الدجاجة تضع بيضاً ، ولست أوصي بأيّ طريقة أخرى للبدء في دراسة الشعرين الاغريقي واللاتيني سوى طريقة الاستعانة بقواعد التقطيع العروضي هذه التي أنشأها علماء النحو بعد ان كان معظم الشعر قد كتب ، ولكن إذا استطعنا إعادة الحياة إلى هاتين اللغتين بدرجة تكفي ليكون المرء قادراً على التحدث بهما وسماعهما كما كان المؤلفون يفعلون كان في وسعنا أن ننظر إلى القواعد نظرة اللامبالاة . فلا بد لنا أن نتعلم اللغة الميتة بطريقة مصطنعة ، ولا بد لنا أن نتناول قرص الشعر فيها بطريقة مصطنعة ، ولا بد أن تطبق طرائقنا في التعليم على تلاميذ لا يملك معظمهم من موهبة اللغة إلا قدرأ متواضعاً . بل إننا في تناولنا لشعر لغتنا الخاصة قد نجد تصنيف بحور الشعر وأبياته ذات المقاطع الصوتية والنبرات التي يختلف عددها باختلاف موقعها ، نافعاً في مرحلة